الاستاذ احسان قاسم الصالحى، كما وقع في يدي بعض مؤلفاته بالعربية كـ«المثنوى العربى النوري» و«اشارات الاعجاز في مظان الايجاز» فاكتشفت من خلال هذه القراءات اننى وقعت على كنز ايمانى نفيس، ليس من العدل حرمان قراء العربية من الوقوف عليه، والتعرف على ما عنده، والافادة مما لديه، لاسيما والرجل وقّاع على الجديد والطريف والمبتكر من المعاني والافكار، وقناص بارع لكل سارح وبارح من بوارق الخواطر ولوامع العقول.

و«سهوله العمق» او «عمق السهولة» ميزة مؤلفات «النورسى».

اما «سهولة العمق»؛ فنعني بها: انه لا يأخذك الى عمق افكاره ما لم يمهد لك السبيل الى ذلك، وييسر لك طريق الاندفاع اليها، والغوص في طلبها، فلا تحس في غوصك بضغوط الأعماق، ولا تعاني من ضيق التنفس، ثم تنفذ – بعد ذلك – الى السطح وقد التقطت طِلْبَتَكَ، وحصلت على بغيتك، وكأنك في مكانك من السطح لم ترم.

وأما «عمق السهولة»؛ فنعني به: انه ما من سهل في فكر «النورسى» الا وهو من ذلك «السهل الممتنع» الذى تحس وكأن كل احد قادر على الاتيان بمثله، لكنه في حقيقة الامر، يستعصى على الفحول من ارباب العقول، لان التجربة والمعاناة – وهى ذاتية بحتة – هى الاساس فيه، وهي مما لا يتشابه فيها إثنان من البشر.

فالتجربة والمعاناة هى التي ترفد رسائله بالحرارة، وتفعمها بالحيوية، وتطبعها بالمصداقية، وتشحنها بالواقعية. فقد عايش عصراً مضطرباً مليئاً بالاحداث، وشارك في بعضها، وراقب الاخرى عن كثب، وشاهد المسارات المرسومة للدولة العثمانية وكيف يتم تحويلها اليها تدريجاً.

فشارك في «الحرب التركية الروسية» قائداً لفرق الانصار وابلى البلاء الحسن، وهزّه انهيار الدولة العثمانية، ذات الامجاد العظيمة، ولاحظ بأسى الانقلاب المريع الذي قاده «مصطفي كمال» مزلزلاً به حياة تركية المسلمة، وأحس بالمؤامرات وهى تحاك في الظلام لإبعاد الاتراك عن دينهم وفصلهم عن قرآنهم، وبكى بمرارة على الحرف العربى الذي اختفى ليحل محله الحرف اللاتينى، وابصر دامعاً حزن «الجمعة المؤمنة» وهي تتوارى وجلة امام «الاحد» السفيه العابث.. الى غير ذلك من امور اصبح لها قوة القانون وهيمنة الدستور.

وقد شخص الرجل مرض المسلمين المزمن، ووضع يده على اسباب انحسار حضارة الاسلام امام الحضارة الغربية، ونادى بضرورة الانكباب على العلوم الحديثة والافادة منها في بناء «القوة الاسلامية الجديدة» والتى ينبغى لها ان تقبل التحدى وتواجهه بكل ما يتيسر لها من اسباب القوة، ونبّه الى ان اللبنة الاولى في صرح هذه القوة يجب ان يكون «الايمان».

لذا فان التركيز على «الايمان» وتجلية حقائقه، وتعميقه في النفوس، هو من مهمات الرسائل التى كتبها واطلق عليه اسم «رسائل النور».

وبعد:

يمكن اعتبار هذه المقدمة المتواضعة مدخلاً يدلف منه القارئ الكريم الى افكار «النورسي» الايمانية واعترف انني لم احصها او استقصها جميعا.. غير انني حصرت همي في الكلام على أهم المحاور الرئيسة التي تدور عليها هذه الافكار، او تنبثق منها، او تنتسب اليها، ولا ازعم كذلك اني قد استوفيت حق هذه الافكار من العرض او التوضيح، ولكني استطيع القول مطمئناً باني قد اشرتُ اشارات، وعلّمت علامات، تهدي القارئ الى

مناحي الفكر الإيماني عند «النورسي» وربما يسهل عليه بعد ذلك ان يوغل في عالمه على بصيرة ستزداد قوةً وحدةً ونفاذاً كلما مضى في القراءة حتى ينتهي من «كليات رسائل النور» وقد عرف «النورسي» كواحد من اعظم عمالقة الفكر الايماني في هذا العصر..

هذا.. ولله الحمد والمنّة الذي اعانني على هذا العمل راجياً قبوله خالصاً لوجهه الكريم..

آمين، والحمد لله ربّ العالمين..

اديب ابراهيم الدباغ

* * *